بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آل وصحبه وسلم.

وبعـــد،،،

مارس الغرب على الأمة الإسلامية صنوفاً من الإذلال والقهر فى عصرنا، ويعود ذلك لأسباب كثيرة أبرزها تفرق المسلمين وعدم تمسكهم بدينهم وعقيدتهم، ولا يمكن رد عـدوان الغرب وهجمته على الإسلام إلا من خلال صحوة إسلامية، يربط فيها المسلمون حاضـرهم بتراثهم بما يحمله من قيم أصيلة، تساعدهم على الصمود والمقاومة.

لقد كان المسلمون أصحاب حضارة كبيرة ومجد عريق، تهابهم أعتى الإمبراطوريات فى الشرق والغرب، ثم عملت فيهم الفرقة والعصبية والمذهبية فضعفوا وانهارت قوتهم وتمكن منهم أعداؤهم.

لقد كانت تلك الحقيقة تصب عينى وملء قلبى وأنا أختار موضوعاً أقـوم بدراسـته، وأدى بى التفكير فى أسباب هذا الضعف الذى حل بالمسلمين إلى البحث عن موضـوع قـد يساعد فى ذلك.

فلابد للمسلمين من المقاومة والصمود وبذل الجهد لرفع الظلم عن كاهلهم، ولما وجدت أن كل حضارة هى مجموع النظم والقيم والمعتقدات والسلوكيات، التى تحرك جميع نـواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وباعث كل حضارة عقيدة راسـخة، ذات أصول قوية، تكفل لها النهوض والازدهار، والصمود والبقاء فى مواجهة الحضارات الأخرى، والعقيدة الإسلامية كذلك، اتجه تفكيرى إلى العقيدة، فهى أساس وحدة المسـلمين وسـعادتهم، فقيمها الأصيلة التى تدعوى إلى الحق والعدل والحرية والمساواة كفيلة بنهضة الأمة ودعوتها للإخاء والتآلف والوحدة.

لقد كان المسلمون قبل ظهور الفرق وحدة واحدة لا يعرفون المذهبية والعصبية، وهذه المذاهب هى التى فرقت المسلمين، ولذلك فكرت لو بحثت حال المسلمين قبل أن يكونوا فرقـاً مختلفة، فوقع اختيارى على الجانب النقدى فى الفكر الإسلامى من خلال المـذهب الزيـدى، وهو مذهب معتدل فى عمومه، يدعو إلى التآلف والوحدة والاجتهاد، وللزيدية موقـف نقـدى

بارز وواضح المعالم تجاه الفرق والمذاهب الكلامية فى اتجاهاتها العامة، فقد تنبهوا لأثر العقائد الوافدة على العقائد الإسلامية منذ وقت مبكر، وأثر هذه العقائد على حضارة المسلمين وثقافتهم، فتناولوا بالنقد الموضوعى الفلسفات القديمة وأسباب حربها على الإسلام وعقيدته وحضارته وقد هدفت لمحوها، ولذلك اخترت عنوان رسالتى للدكتوراه على النحو التالى: "نقد الزيدية للمذاهب الكلامية".

ويتسم نقدهم بالوضوح والمنهجية والاستقلالية وتنزه على التجريح والتسفيه والأحكام العامة، فنجح إلى الاعتدال والاقتصاد فى الأحكام، ويجمع بين علماء الزيدية الدعوة إلى الاجتهاد والتقريب بين المذاهب الإسلامية والاهتمام بالتطبيق والعمل أكثر من النظر والجدل، والتأكيد على المنهج فى أصوله ومبادئه العامة، كما أنهم قد انفتحوا على المذاهب الأخرى، مما أدى إلى تنوع مناهج الاجتهاد داخل المذهب، ويبدو ذلك واضحاً من الاتجاهات المختلفة التى ظهرت فى تاريخهم، فقد كان عمدة نقدهم فى العقيدة رفض التشبيه والتجسيم فى التوحيد والصفات، ورفض الجبر فى العدل، والتأكيد على التنزيه والحرية الإنسانية فى ضوء المنهج الإسلامى.

ولذلك ظهر عند الزيدية من ناصر الفكر المعتزلى، وتمثل ذلك فى يحيى بن الحسين ت ٢٩٨هـ ووصل أقصى درجاته عند يحيى بن حمزة العلوى ت ٧٤٩هـ، وظهر كذلك من حارب المعتزلة وهاجمهم ودعا للمحافظة على أصول المذهب ونسقه الفكرى من المؤثرات المختلفة كحميدان بن حميدان ٦٥٦هـ.

وبلغت أبرز سمات التوفيق بين المذاهب الإسلامية والانفتاح الزيدى على غيرهم فى الاتجاه السلفى عند ابن الوزير والشوكانى والصنعانى، الذين اتجهوا إلى إحياء علوم السلف والعناية بالحديث ونادوا بالعودة للأصول ووحدة الأمة، وكانت لهم نظرات صائبة فى نقد وتقويم مناهج علم الكلام وموضوعاته.

وقد صادفت أثناء العمل فى هذه الدراسة بعض الصعوبات، من أهمها أن أغلب تراث الزيدية ما زال مخطوطاً، ولم ينشر، والأعمال العلمية التى اتجهت نحو الزيدية بالدرس قليلة جداً، ولا تساعد على معرفة أصول وأسس الفكر النقدى وأهدافه، لتناولها الأشخاص موضوعاً للدراسة.

ولذلك اتجه تفكيرى إلى نسخ أبرز هذه الأعمال، لتكون تحت يدى أو تصويرها إن أمكن ذلك، فاجتمع عندى قدر كبير من المخطوطات عن المذهب الزيدى بفضل الله، وقد وفقنى الله إلى تحقيق بعضها وطباعته، وهو من بركات هذه الدراسة، وقد ساعد ذلك كثيراً فى وضوح الرؤية النقدية من جميع جوانبها.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ستة أبواب جاءت على النحو التالى :

الباب الأول وجاء فى **الألوهية والتوحيد**، وتضمن أربعة فصول، تناول الأول نقدهم للفلسفة الإلحادية ومناهجها وهى الأساس الذى أثر فى مناهج علم الكلام بعد عهد السلف، والثانى فى **نقد الزيدية للنصارى والثنوية** وتطرقت إلى نقدهم لأصحاب الحلول والاتحاد، أما الفصل الثالث فكان **فى وجود العالم ونقد الزيدية للمعتزلة** وغيرهم فى ماهية العالم ووجود المادة وعرج على نقد المفاهيم والمصطلحات مثل الجوهر الفرد وغيره، بالإضافة إلى الأحكام المتعلقة بهذا الباب.

أما الباب الثانى فجاء **فى الصفات الذاتية**، وتضمن فصلين الأول منهما **نقد الزيدية للمعتزلة والكلابية فى الصفات**، ونقد المنهج المعتزلى والمفاهيم التى انتابت التصور الإسلامى فى الصفات، أما الثانى فقد تناولت فيه صفات العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والإدراك، وموقف الزيدية من المتكلمين فيها، وجاءت خاتمته فى الأحكام التى تعلقت بالصفات.

وجاء الباب الثالث، ليعالج نقد الزيدية للمذاهب الكلامية فى الصفات الخبرية، من خلال ثلاثة فصول كان الأول منها فى عرض **منهج الزيدية فى الصفات الخبرية**، والثانى فى بيان **استحالة الجسمية والعرضية على الله**، من خلال نقدهم للمشبهة والمجسمة والاتجاهات المادية فى تصوراتها الشاذة والمشوهة للتنزيه فى الإسلام، **أما الفصل الثالث فكان فى تأويل الصفات الخبرية**، كضرورة من ضرورات التصور الإسلامى، والبحث عن أفضل السبل والطرق للفهم والتأويل، ومحاولة انتخاب وانتقاء منهج يجمع بين عقلانية النظر وأصالته فى الوقت ذاته، وقد رضى كثير من علماء الزيدية عن التفسير البيانى والمدرسة البيانية فى التأويل.

وعالج الباب الرابع قضيتى **الرؤية والكلام** فى فصلين مستقلين، نقد فيهما الزيدية المذاهب الكلامية فى الرؤية الحسية، وتوسطوا فقبلوا الرؤية المعنوية أو القلبية فى الدنيا والآخرة، وتعرضوا لآراء الأشاعرة والحشوية فى الرؤية، من حيث المنهج والأدلة، وفصلوا الشىء ذاته فى الكلام، فأولوا صفة الكلام ونقدوا الأشعرية فى نظرية الكلام النفسى وموقفها تفسيراً غير مقبول عارياً عن الموضوعية.

أما قضايا العدل فقد تناولتها فى الباب الخامس، وتضمن ثلاثة فصول أولها **فى خلق أفعال العباد والفعل الإلهى**، ونقدوا فيه المجبرة فى زعمهم خلق الله لأفعال العباد والأشاعرة فى نظرية الكسب، وتخلل ذلك التعرض للمفاهيم والمصطلحات، وبيان مدى تأثيرها فى المذاهب والاتجاهات الاعتقادية، كذلك تعرضوا للخلط فى استخدام المنهج والاستدلال بالنصوص، رغم وضوح التصور الإسلامى فى الموضوع، ونقدوا المجبرة فى الإلجاء وبينوا تعارضه مع حقائق وأصالة المنهج الإسلامى، وانتهى بالحديث عن الفرق بين الفعل الإلهى

والإنسانى وطبيعة كل منهما، أما الفصل الثانى فكان فى **الإرادة والتوليد**، وتناول الفرق بين الإرادة الإلهية والإنسانية وطبيعة وعمل كل منهما ونقدهم للأشاعرة والمجبرة والمعتزلة فى الإرادة، ثم أعقب ذلك الحديث عن الاستطاعة ونقد تصور المجبرة والأشعرية أنها مصاحبة للفعل ولا تأثير لها فيه، ونفى تصور فعل بين فاعلين، وانتهى بالتعرض لقضية **الحكمة والعلية** وقد تناول موقف الفلاسفة والأشعرية من الحكمة الإلهية ونقد الزيدية لهم، وبيان علة خلق الله للأشياء وكون أفعاله معللة، وما لم نتبين له علة أو حكمة هو مما خفى علينا، ولا يعنى عدم إدراكنا للحكمة فى خلقه نفيها أو يجيز لنا الاجتراء أو الافتراء على قدسية الذات الإلهية بنفى الحكمة عنه، كما تناول تحكمات المعتزلة والأشاعرة فى التحسين والتقبيح، الأولين فى المنهج والآخرين فى الموضوع، ونقد موقف متأخرى الأشاعرة من العلية، ونقد **المطرفية** فى التوليد، وهى من القضايا التى توسع علماء الزيدية فى نقدها لموقفهم المتشدد من المطرفية، وكان لزاماً علينا التعرض لنشأة المطرفية وبيان مذهبهم فى الإحالة والاستحالة، حتى يتيسر لنا تفسير الموقف الزيدى منهم، وتبرير تصرفات أئمتهم تجاه هذه الفرقة، وانتهينا ببيان مغزى إنكار المجبرة للتحسين والتقبيح العقليين جملة أو تفصيلاً.

وأما الفصل الثالث من باب العدل فقد جاء فى **القدرة والتكليف**، وتناول القدرة الإنسانية ونقد الأشاعرة والمجبرة فى موقفهم من القدرة، وتعرض للتطور الذى حدث للمفهوم الأشعرى فى القدرة، ثم ثنى باللطف والصلاح والأصلح، وثلث بالتكليف ثم العوض والوعد والوعيد والشفاعة، وجاءت النقطة السادسة من هذا الفصل لتعالج مسألة الرسالة والمعجزات وموقف النصارى واليهود من الدعوة والرسالة المحمدية.

أما الباب السادس فتعرض لقضية نقد الزيدية للمذاهب الكلامية فى الإمامة، وتضمن أربعة فصول، الأول منها فى مبحثين الأول منهما تعرض لموقفهم النقدى من الفرق فى نظرية الإمامة، وقد ركزوا على المعتزلة والشيعة، وكان للأولين نصيب كبير من النقد فتناولوا أدلتهم من وجوه عديدة، والمبحث الثانى جاء فى **بيان موقف الزيدية من التفضيل فى الإمامة**، ونقدهم أيضاً للمعتزلة وغيرهم، وجاء الفصل الثانى فى نقد الزيدية للشيعة والباطنية فى الإمامة فتناول منهجهم فى الإمامة بالنقد وتفنيد أدلتهم وحججهم فى وجوب العصمة، والمهدية والدور.

أما الفصل الثالث فجاء فى رد الزيدية على مطاعن الشيعة فى الراشدين وبيان كذبهم وفرائهم عليهم وعلى الله ورسوله، وجاء الفصل الرابع ليكون خاتمة الرسالة فبين موقف الزيدية من الصحابة والثورة.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي والنقدي المقارن في دراستي، لما في ذلك من فائدة للبحث، يظهر بها أصول الأفكار التي يتناولها الزيدية بالنقد، وكيف تعرضوا لها بالنقد، ومدى موضوعية النظر عندهم، وتمكنهم من عرض آراء الخصوم والرد عليها.

وبعد، كانت هذه الرسالة محاولة -وإن كانت متواضعة- عالجت فيها موقف الزيدية ووجهة نظرهم كفرقة من فرق المسلمين، من المذاهب الإسلامية الأخرى من الناحية النقدية، وكان رائدي في هذا العمل هو الاعتقاد بأن الحوار والجدل المثمر بالحسنى والموعظة الحسنة، كان أبرز الحلول والصور المشرقة لفكرنا الإسلامي، في تناول العقائد، ويوم تأخر الحوار والاجتهاد والنظر، تخلفت الأمة وسطا عليها التقليد والتعصب المذهبي، ونالها عدوها وساءها في أبناءها ونفسها، فيوم سكت الحوار والجدل بدأ الصراع والتناحر، وصارت الجزئيات كليات والهوامش أساسات، وتعددت الجماعات بتعدد الآراء، وتفتت الأمة إلى أشلاء، ولا حل يعيد لها هيبتها ومكانتها سوى العقلانية والنظر في ضوء أصول الدين والمزيد من التقويم والنقد، وإعادة التقويم والنقد، ونفي كل ما تعلق بالمناهج من زوائد وشوائب، أو إضافة ما فاته من أساسيات وركائز.

ولعلي وفقت لما أردت من هذه الرسالة، فبفضله بدأت وبقوته عملت، وكان رائدي عقيدة صحيحة ونفساً نذرتها لربي، ولعل ما يأتي مكفراً لما مضى من المعاصي والذنوب، ولا يفوتني بذل الشكر لأهله وذويه، فمن ساعد ساعد الله، ومن بذل بذل له، فباسمه أخذت وتركت، وبقوته استعنت وتوكلت، فالشكر كل الشكر لمشرفي المبارك الدكتور/ **عبدالفتاح أحمد الفاوي** أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، والذي أخجلني تواضعه وأدبه، ونقاء قلبه ونكاء عقله، وأبهرني علمه وفضله، فالله يجزيه على ما بذل وأعطى من وقت وجهد وأشكر أستاذي **الدكتور عبدالحميد عبدالمنعم مدكور** على إشرافه وتعهده لي طيلة فترة غياب **الدكتور/ عبدالفتاح الفاوي** في الخارج، فقد أفدت منه كثيراً علماً وخلقاً فجزاه الله خيراً، وشكري لجميع من ساعد وآزر، حتى خرجت الرسالة بحالتها التي بين أيديكم.

وأخيراً لا أزكي عملي، ولعل من يأتي بعدي يكون خيراً مني، وعذري أني ما ادخرت وسعاً ولا جهداً فيها، فإن كنت قد وفقت فمن الله وإليه المرتجى، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، ومن الله العفو والغفران.